شهر الصوم المبارك : روحانية، مشاركة، وأنوار.

حلّ شهر رمضان هذا العام على طرابلس بطريقة مميزة، إذ تزامن، ولأول مرة منذ سنوات طويلة، مع فترة الصوم لدى الطوائف المسيحية، فشهدت المدينة من خلال هذا التلاقي النادر انسجاما رمزيًا عميقًا بين مكوناتها الروحية والاجتماعية. فبرهنت طرابلس، من جديد، وفائها لروحها الأصيلة، وحوّلت هذا التزامن النادر إلى لحظة حقيقية من الألفة والمشاركة.

شهدت طرابلس، مدينة الإيمان والتاريخ، تآلفًا لا مثيل له حول قيم الايمان والطهارة والسمو. في أحيائها القديمة كما في أحيائها الحديثة، تجلّت الروحانية في تفاصيل الحياة اليومية، مؤكدة أن الإيمان، أيًّا كانت طبيعته، يدعو إلى التواضع، والعطاء، والتضامن.

وعادت التقاليد الراسخة لتأخذ مكانها في وجدان الطرابلسيين. وتبقى عادة "السَكبِة"، ذاك الطبق الذي يُحضَّر بمحبة ويُقدَّم للجارة من طائفة مختلفة دون انتظار ردّ الجميل، من أجمل هذه التقاليد. ولكن العادة تقول إنّ الجارة ستعيد الطبق مملوءًا بصنف آخر من صنعها، وهكذا ينتقل الخير من بيتٍ إلى بيت، حاملاً معه الضيافة و الكرم والدفء والمودّة. يستمر هذا الطقس اليومي طيلة الشهر، ليبلغ ذروته في العيد، حيث تُحضَّر حلوى المعمول المعطّرة بماء الزهر والمقدَّمة لمشاركة فرح العيد.

ومع غروب الشمس، يتبدّل وجه المدينة حيث تنبض طرابلس بالحياة فور سماع أذان المغرب. فتنشط الأسواق، وتزدحم الشوارع بالعائلات والأطفال والأصدقاء ورواد الأسواق. كما تتلألأ الحارات القديمة بالفوانيس والأنوار المعلّقة على الجدران، فتتحوّل إلى مشهدٍ ساحر يُبهج الروح. ومن كل الزاويا، ينبعث صوت "الوداع" — مجموعة من المنشدين التقليديين ترافقهم آلات نحاسية، ينشدون المدائح النبوية في شوارع المدينة معلنين حلول الإفطار. وتفوح الروائح الشهية من الجلاّب، وزنود الست، والحلويات المغمّسة بالقطر والمكسّرات. ويضاعف الحرفيون من جهودهم، وتتحوّل الأرصفة إلى مقاهٍ مؤقتة تفيض بالأحاديث والضحكات واللقاءات العفوية.

وفي هذا الجو الحالم، تتكاثر الزيارات الليلية. يُطرق الباب في ساعة متأخرة لا للإزعاج، بل لتبادل التهاني: "شهر مبارك". تُفتح البيوت، يُقدَّم الشاي والقهوة، وتُعرض الحلويات والمكسّرات، وتتبادل الأسر التمنيات بالسلامة والسعادة والطمأنينة. فيتحوّل الصوم إلى فرصة للّقاء، للمحبّة، ولتذكّر أيام كانت فيها المدينة قلبًا نابضًا واحدًا.

وقد جسّدت طرابلس هذا العام مفهوم العيش المشترك بأبهى صوره. فكانت، وأكثر من أي وقت مضى، مدينة الحوار الصامت بين الأديان، مدينة الحب والتعايش، والسلام الذي يُبنى عبر الافعال والمبادرات البسيطة. وصلت مدينة طرابلس خلال شهر الصوم المشترك إلى مراتبها المثلى فكانت مدينة لا ترى في الاختلاف حاجزا بل جسرًا، ولا في الإيمان سببًا للتفرقة بل دعوة للوصال، حيث يُعاش المقدّس في سلام ونور.

طرابلس، مدينة المشاركة. طرابلس، مدينة السلام والمحبة.

جمانة شهال تدمري